



تفسير القرآن الكريم
سوريا - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي



تفسير سورة البقرة شرح الآيات 62-66

nooraldeen.com

12/06/2026

سورة البقرة - 12: شرح الآيات 62-66

(002) سورة البقرة

2026-06-12

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.
وبعد أيّها الإخوة الكرام: فهذا لقاؤنا الحادي عشر من تدبّر سورة البقرة، ومع الآية الثانية والستين من السورة وهي قوله تعالى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ (62)

(سورة البقرة)

أربعة أصنافٍ من أتباع الشرائع السماوية:

أيّها الكرام: في هذه الآية يذكر المولى جلّ جلاله أربعة أصنافٍ من أتباع الشرائع السماوية، فيبدأ جلّ جلاله بالمؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) وهم الذين آمنوا برسالة الإسلام، واتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر الذين هادوا (وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود، ومناسبة الكلام أنّ الله تعالى يتحدث عن بنو إسرائيل، ويذكرهم بنعمة، ويبيّن ضلالهم، فأراد المولى جلّ جلاله أن يبيّن أنّ هناك من اليهود من تابوا وأتوا بهم، فذكر مساوئ بنو إسرائيل لا يعني أنّهم كلهم كانوا على قلب رجلٍ واحدٍ في الفجور والبعد عن أمر الله تعالى، فذكر المولى جلّ جلاله أصنافاً من أتباع الرسالات السماوية والشرائع، وبيّن حالهم مع الله تعالى، فليس كلهم على ضلالٍ، فالذين هادوا هم اليهود، واليهود إمّا أنهم سُمّوا من التهاود وهي التوبة، قال تعالى:

لماذا سُمّوا اليهود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)

(سورة الأعراف)

أي بُنينا إليك.

وقيل بل انتسبوا إلى يهودا، وهو الابن الأكبر من أبناء إسرائيل يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فابنه الأكبر يهودا، والعرب عندما تُعَرَّب تُعَبَّر في اللفظ لبواقي العربية، فَعَبَّرُوا الذال وجعلوها دالاً فأصبحت يهودا، على كل حال (وَالَّذِينَ هَادُوا) أي اليهود.

مَنْ هُمُ النَّصَارَى:

ثم يذكر النصاري، والنصاري جمع نصراني، وتذكر دائماً بياء النسب فيقال نصراني، وهي مثل: ندمان وندمانة، نصران ونصرانة، وجمعها نصاري كندامي، فهي جمع أيضاً إنما لأن نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام نزل في قرية من الشام معروف إلى اليوم في فلسطين، نسأل الله أن يُفَرِّجَ عن أهلها وهي الناصرة، أو لأنهم تناصروا فيما بينهم فسَمُّوا نصاري، انطلاقاً من قوله تعالى لما قال عيسى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمًا أَحْسَنَ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكَفَرُ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ (52)

(سورة آل عمران)

فسَمُّوا النصاري.

مَنْ هُمُ الصَّابِئِينَ:

ثم ذكر الصنف الرابع وهم الصابئون، وهؤلاء اختلف المُفسِّرون في تحديد هويتهم اختلافاً كبيراً بأقوال كثيرة، لكن أرجح الأقوال أنهم فرقة من فرق النصاري، أي عطفهم الله على النصاري، هم فرقة قال كانوا يقرؤون الزبور الذي أنزل على داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، والحقيقة أنَّ الصابئ في الأصل هو مَنْ مال من دين إلى دين، غير دينه، لذلك كانت العرب إذا أسلم إنساناً تقول له: أصْبَات؟ فيقول: بل اتبعْتُ دين محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فصأ أي مال من دين إلى آخر وعَبَّر دينه، فهؤلاء أربعة أصنافٍ: (الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) ذكرهم المولى جلَّ جلاله.

ثم قال: (مَنْ آمَنَ) من هؤلاء، سواءً من آمن برسالة الإسلام، ولعلَّه آمن بها بشكلاً لكنه لم يلتزم بمضمونها، أو مَنْ قال: أنا من أتباع موسى لكنه لم يتَّبع موسى، أو قال: أنا من أتباع عيسى لكنه لم يتَّبع عيسى، أو قال: أنا من الصابئين ولم يتَّبع الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام.

العنوان دون مضمون عنوان فارغ:

كيف أمثلها لكم؟ هناك أربعة محلات تجارية في السوق، أول محل كاتب فُلان وشركاه لبيع الأقمشة، والثاني فُلان وإخوته لبيع المُرطبات، والثالث فُلان وإخوته لبيع الألبسة الجاهزة، والرابع شركة فُلان لبيع مواد التنظيف، ثم دخلت إلى جميعها فوجدتها فارغة لا شيء فيها، عناوين لا قيمة لها، فأن تنتسب إلى موسى شيء وأن تكون من أتباعه شيء آخر، أن تنتسب إلى عيسى شيء وأن تكون من أتباعه شيء آخر، أن تقول أنا من أمة الإسلام، وأن تتَّبع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم شيء آخر، فالعناوين دون مضمون عناوين فارغة.

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) مَنْ تَسَمَّوا بهذه الأسماء على مدار التاريخ، من لدن خلق الله آدم إلى أن بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة، الناسخة، المُهيمنة على ما قبلها، جميعهم، إنهم جميعاً من الناجي منهم عند الله تعالى؟ الذي يُنقِذُ المضمون (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا).

رَبُّنَا يريد أن تكون ذو عقيدة سليمة وسلوكٍ مستقيم:

(آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) العقيدة، التصوُّر، (وَعَمِلَ صَالِحًا) السلوك، فرُبُّنا يريد منك أن تكون ذا عقيدة سليمة، وسلوكٍ مستقيم، عملك صالحٌ يصلح للعرض على الله، وعقيدتك سليمةٌ فيها إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأكثرُ رُكنين يجمع الله بينهما في القرآن، الإيمان بالله واليوم الآخر، ليس تقليداً من باقي الأركان، ولكن لأنَّ باقي الأركان مُشتَملةٌ ضمناً فيهما، فمن آمن بالله يؤمن برسله، ويؤمن بكتبه، ويؤمن بملائكته، لكن يبقى الإيمان باليوم الآخر شيء قد يُظن أنه مُنفصلٌ عن الإيمان بالله، كان يقول قائل: الله موجود لكنه لن يُجيب! لا، معاذ الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِنَّا لَا نَرْجِعُكُمْ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)

(سورة المؤمنون)

الإيمان بالله واليوم الآخر يُشتملان على باقي الأركان:

فلذلك يقرن القرآن كثيراً بين هذين الركنين، لأنهما يشتملان على باقي الأركان، الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان بالله يجعلك مُطيعاً له، مُلتزماً بأمره، والإيمان باليوم الآخر يحجزك عن الظلم لأنك ستقف بين يدي الله، فلن تظلم مخلوقاً يُفاضيك أمام الله، فقال: **(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)** هذه العقيدة، **(وَعَمِلَ صَالِحًا)** الصلاة صالحة، الصيام صالحاً، غُضَّ البصر صالحاً، كل عملٍ يصلح للعرض على الله فهو عملٌ صالح، ولا يصلح العمل للعرض على الله، إلا إذا كان خالصاً ابتغي به وجه الله، وصواباً وافق شئنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: هؤلاء الذين اجتمعت فيهم هذه الصفات من العقيدة والسلوك **(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)** هؤلاء الذين يُثبِّتهم الله، ولم يُقلْ فلهم أجرٌ، بل قال: **(أَجْرُهُمْ)** أي:

{ أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه }

(صحيح ابن ماجه)

أعطه أجره، تقول: والله أعطيته، هو يريد أجرة عمله ألفاً وأنت أعطيته خمسمائة، فأنت أعطيته نصف أجره وليس أجره، فقال: **(أعطوا الأجير أجره)** أي المُكافئ لعمله، وإذا كان المولى جلّ جلاله يقول: **(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ)** وعند من؟ **(عِنْدَ رَبِّهِمْ)** الأجر العظيم، الكبير، ليس المُكافئ للعمل، العمل لا يُساوي شيء أمام الأجر الذي سيعطيه الله لهذا الإنسان، قال: **(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)** أي فيما يُستقبل **(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)** فيما سباني **(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** على الماضي، أي استوعب الزمن كله، لا خوفٌ عليهم من المُستقبل، ولا يحزنون على شيءٍ فاتهم من الدنيا، لأنهم قد عرفوا أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى **(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** وهذه الصفة ذكرها المولى مع أولياء الله، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

(سورة يونس)

أولياء الله ليس من يطير في الهواء، ولا من يمشي فوق سطح الماء، ولا من تجلّ له الكرامات وتُنسج حوله القصص، الولي كل الولي من تجده عند أمرٍ الله وتَهيه، أنتم أولياء الله، من تاتون المساجد، تُصلون الفجر، تمتنعون عن ما حرّم الله، هذا وليُّ الله، نعم هناك صالحون، هناك إنسانٌ أكثر صلاحاً من إنسانٍ، لكن الأولياء هم الذين آمنوا وكاثروا بِتَقْوَى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)

(سورة يونس)

وهذه الكلمات تنزل بها الملائكة علينا عند الموت إن شاء الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَالْأَلْبَنَاءَ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا (30)

(سورة فصلت)

(قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) العقيدة، **(ثُمَّ اسْتَقَامُوا)** السلوك، **(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)** لم يُعد هناك خوفٌ ولا حزنٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَدْعُونَ (31)

(سورة فصلت)

لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَجِبَ عَلَى كُلِّ أَتْبَاعِ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ:

هذه الآية أيها الكرام، يستدل بها بعض المنحرفين على قضية لا تصح أبداً، فيستدلوا فيها أنه إذا اليوم هناك يهودي أو نصراني آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ولم يتبع محمداً فقد نجا، لا، قال صلى الله عليه وسلم:

{ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار }
(صحيح مسلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا نَبِيَّهُمْ ۖ وَمَنْ يُكْفُرْ بَاتَاتِ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)

(سورة آل عمران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يَتَّبِعْ عَثَرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ۚ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)

(سورة آل عمران)

فهذه الآية تتحدث عن اليهود والنصارى والصابئين، قبل أن يأتي الإسلام العظيم، ولَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَجِبَ عَلَى كُلِّ أَتْبَاعِ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، للنجاة بين يدي الله، لأن هذه الآية البعض يكتب ويستدل فيها، والبعض ما عنده علم شرعي رصين، ولا يحق الآيات، فيقول أحدهم: هذه الآية جميلة: (وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) حتى الصابئين الذي ليس لديهم دين، حتى إن لم يكن عندك دين، البعض يفسرها إذا آمنت بالله وعملت صالحاً تدخل الجنة، لا، نقرأ القرآن بشكل متكامل، المقصود هنا أتباع الديانات قبل أن يأتي محمد صلى الله عليه وسلم، فينجون عند ربهم باتباعهم لموسى أو باتباعهم لعيسى، أصلاً لا ننجو نحن المسلمين عند ربنا، إلا بإيماننا بموسى وعيسى عليهما السلام، فلو قال اليوم مسلم: أنا أؤمن بمحمد ولكن لا أؤمن بموسى وعيسى، نقول له: أنت لم تستكمل أركان الإيمان، فالجميع مؤمنون بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، والجميع ملتزمون ويجب أن يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنها الناسخة.

هناك وزير عيّن مدير عام ولله المثل الأعلى، وزير عيّن مدير لمديرية من المديريات، ثم جاء رئيس الجمهورية الرئيس أو الملك وعزل الوزير ووضع وزيراً آخر، فالمدير لم يسمع لكلام الوزير الجديد، قال له: أنا علاقتي مع الوزير القديم، هل يقبلها أحد؟! يقول له: يجب أن نستمع له هذا الرئيس عيّن، لله المثل الأعلى.

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ بِرَسُولٍ لِلَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعل رسالته خاتمةً ومهيمنةً على كامل الشرائع وناسخةً لها، فالآن لا يستطيع أحد أن يتمرد ويقول: أنا علاقتي مع القديم، لا، القديم له مكانته وتقديره والإيمان به، لكن الآن يجب أن تسمع من جعله الله تعالى رسولاً خاتماً مُشَرَّعاً وشرعته مُلْزِمةٌ لكل من سمع به، فيجب أن تؤمن به.

معنى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)

(سورة البقرة)

لَمَّا رَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتَى بِالْأَلْوَابِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۚ وَفِي نُسخِهَا هَدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ (154)

(سورة الأعراف)

التوراة في الألواح، وفيها هُدي للناس كما أنَّ القرآن هُدي للناس، التوراة كان فيها هُدي للناس، فجاء بها لقومه وأخذ عليهم الميثاق، العهد **(أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ)** أن يعملوا بما في التوراة، فجعل بنو إسرائيل كعادتهم يتملصون من الأمر: لا طاقة لنا به، لا نستطيع، فوق وسعنا.

قلت لكم سابقاً: سورة البقرة تُعلِّمنا باليهود، ربُّنا جعلهم وسيلة تعليمية، انتهوا، واليوم بعض المسلمين يقول: نحن ليس في وسعنا تطبيق التكليف، وكأنه هو يعلم وسعته، الله يعلم وسعك، ما دام الله كلَّفك فهو في وسعك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

فأخذ الله عليهم الميثاق، قال: **(وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ)** الطُّور إمَّا أنه اسمٌ للجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، أو قيل هو اسمُ الجبل بالسريانية، كل جبل يُقال له طور، حتى جبل قاسيون اسمه طور بالسريانية، والله أعلم، أو هو اسمٌ خاص بالجبل الذي كلم الله به موسى.

هذه الآية وضحت آية أخرى في الأعراف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171)

(سورة الأعراف)

ثَبَّتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ:

(تَتَقْنَا) أي مثلاً: كيف إذا كان هناك وتُدَّ عصا غليظة مزروعةً بمكان ومحاطةً بالإسمنت وتريد أن تنتزعها، فتَحَرَّكها وتهزُّها أكثر من مرةٍ ثم ترفعها، هذا معنى **(تَتَقْنَا)** أي رفعنا بقوةٍ بعد زحزحةٍ، لأنَّ الجبل في الأصل ما نراه منه هو ثلثه والثلثان تحت الأرض، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُثَبِّتُ الْأَرْضَ، الْأَرْضُ تَتَحَرَّكُ وَتَمْشِي بِنَا ثَلَاثِينَ كِيلُو مَتْرًا بِالثَّانِيَةِ، تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا وَنَحْنُ لَا نَشْعُرُ، فَثَبَّتَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ، حَتَّى الْجِبَالِ قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)

(سورة النمل)

بعض المُفسِّرين فهموا: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) قالوا: هذا يوم القيامة عندما تتغيَّر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3)

(سورة التكوثر)

لا، هذا الحديث عن الدنيا، والدليل تنمة الآية: (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ كُلَّ شَيْءٍ) فالله تعالى إن كان يتحدث عن ما سيحصل يوم القيامة لا يقول: (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ كُلَّ شَيْءٍ) عندما يخل النظام الكوني وُتُسَيَّرُ الجبال، يتكلم الله عن الصنعة الدنيوية، لكن عندما ما فهموا كيف تمشي، أمّا نحن اليوم نفهم أنها تمرُّ مَرَّ السحاب، لأنَّ الأرض تتحرك، تدور حول نفسها وتدور حول الشمس، فهي تمرُّ مَرَّ السحاب (تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) فرفع الله فوقهم الطور، نتقه وجعله طلةً أي غمامة، وقال: (جُدُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ).

رُبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ أحياناً يسوق العذاب للبعض ليرحمهم:

أحياناً الكرام: أنت أحياناً يكون عندك ولدان، واحدٌ منهم يُريحك كثيراً، تقول له: ادُرْس يدُرْس، اذهب يذهب، تعال يا بني، يعني رُبَّنَا أكرمك بولدٍ طاعةً مُطلقة لا يُعيب قلبك، وعندك ولدٌ مُتعبٌ جداً، لا بُدَّ من أن تُمسك العصا وتضعها فوق رأسه، لا يحفظ إلا بذلك، فالأول يتعامل بالتص، ادُرْس لمصلحتك يا بُني، أيهما أيسر وأفضل؟ الأول بلا شك، والثاني يحتاج إلى العصا.

فبنو إسرائيل لا يريدون أن يؤدُّوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم، رحمة الله بهم لأنه لا يريد أن يُعذبهم في النار رفع الجبل فوقهم، قال لهم: إن طُيعوا تكون الأمور بخير، وإن تتركوا الميثاق ينزل الجبل فوقكم وتنتهوا، فأُطيعوا، انظر إلى رحمة ربَّنَا، البعض ممكن أن يقول لك: هل أجبرهم الله؟ لا لم يُجبرهم، رَحِمَهُمْ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

(سورة البقرة)

لكن أحياناً ربَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يقول لك: هناك عذابٌ لأنه يُريد أن يرحمك.

إذا كنت تُحِبُّه وترحمه كُنْ جازماً معه، فالله تعالى لا يُريد أن يُدخلهم النار يُريد لهم الجَنَّةَ، وهُم لا يريدون أن يُطيعوا، فرفع الجبل فوقهم، نحن اليوم عندما جبالٌ تُرْفَعُ فوقنا، ولكن الحمد لله ليس كمثلهم، لأننا نحن أمة الإيمان بالغيب، يجب ألا تُرْفَعُ الجبل فوقنا يكفي التص، نحن الولد الأول، ربَّنَا يقول لنا في سورة البقرة: كونوا مثل الولد الأول الذي حدَّثتكم عنه قبل قليل، الذي يَسْمَعُ الكلمة بالتص ولا ينتظر العذاب، كونوا أمة الغيب، لذلك بدأت سورة البقرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

(سورة البقرة)

رَبُّنَا يقول لك: هناك عذاب، لا داعي أن ينزل العذاب فوق رأسك حتى تسمع الكلام.

خذوا القرآن بقوة:

قال: (وَرَفَعْنَا قُوَّةَكُمُ الْمَلُورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) أي التوراة، وكأن الله يقول لأمة الإسلام: خذوا ما آتيناكم بقوة أي القرآن، تأخذه بقوة بمعنى أن تُطَبِّق ما فيه، بأن تعمل فيه. أنت أحياناً تقرأ رواية، مساءً ما عندك شيء والدينا صيف، قالوا لك: هذه الرواية جميلة، فتقرأها، شيء يُعجبك وشيء لا يُعجبك، وأنت تقرأ لا تحتاج لقوة، أو مللت في المساء فتقرأ جريدة، لا تحتاج الأخبار السياسية (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) تقرأ تحليلات، أمّا عندما يكون عندك امتحان في الكتاب المُقَرَّر بين يديك، فتقرأه حرفاً حرفاً، وإن لم تفهم شيئاً تتصل فوراً بزميلك أو بمعلمك، تقول له: اشرح لي لعل يأتي السؤال من هنا، فإذا عِلِمْتَ أنَّ هذا الكتاب الأسئلة كلها منه وعنه يوم القيامة، هل تأخذه بضعفٍ؟ لا، بل بقوة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْكِتَابَ صَبِيحًا (12)

(سورة مريم)

خُذْه بقوة، اقرأ، تمعن، تدبر، اشمع، ابك، نَفْذْ (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ) من الأوامر، من النواهي، من المواعظ، من القصص (وادْكُرُوا مَا فِيهِ) كما نفعل نحن الآن، هذه الجلسة عنوانها خذوا القرآن بقوة، تُريد أن تفهم كتاب ربنا، أن نتدبره، أن نعمل به، أن نفهم مضمونه. لماذا يُحَدِّثُنَا الله عن بني إسرائيل؟ ما علاقتنا بهم؟ (خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) الأسئلة منه وعنه، يجب تلاوة يومية، تدبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

(سورة البقرة)

(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي رجاء أن تتقوا عقاب الله تعالى وعذابه بطاعته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ الْفَسَادَ (205)

(سورة البقرة)

الفضل هو الزيادة والرحمة هي مُطلق العطاء:

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ۚ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) عندنا فضلٌ وعندنا رحمة، الفضل هو الزيادة، والرحمة هي مُطلق العطاء، يُقال هذه فضلة الماء أي ما زاد منه، الفضل هو الزيادة والرحمة هي مُطلق العطاء، قال: (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فضله أنه قيلَ توبتكم بعد كل ما صنعتم، وبعد توليكم، وبعد إعراضكم، هذا فضلٌ من الله زيادة.

رُبُّنا جلَّ جلاله إذا أردنا أن نتكلم عن رحمته، رحمهم ورحمنا بما فيه الكفاية، الزوجة رحمة، الولد رحمة، الغيث من السماء رحمة، الرزق رحمة، كلها رحمة من الله عزَّ وجل، لكن أن نُعرِّض ثم يشدُّك إليه، أن تتولى وتُعرض ثم يسوق لك من المصاعب والشدائد ما يحملك على الرجوع، هذا فضل.

للتقريب: مُعلِّم مدرسة، من رحمته أنه علِّم الطلاب جميعاً تعليماً مُتقناً، أوصل لهم المعلومة، أجاب على أسئلتهم، أعطاهم القُرص، حلَّ أسئلة الدورات السابقة، بين لهم الأسئلة المتوقعة للامتحان، انتهى دوره، لكن المُعلِّم عنده فضلٌ أيضاً، الفضل أنَّ هناك بعض الطلاب المُقَصَّرين، قال لهم: تعالوا بعد الدوام، هذا غير مطلوبٍ منه، لا قانوناً ولا شرعاً، هو دوره من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية قام بكل المطلوب منه، بعض الطلاب مُقَصَّرون، تلَّهوا أثناء الدرس لم يفهموا فدعاهم، هذه الدعوة فضلٌ وزيادة.

فرُبُّنا جلَّ جلاله له فضلٌ ورحمة على جميع الناس جلَّ جلاله، قال: (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لو أنَّ الواحد فينا بعد أن هدانا الله، وساق لنا الأنبياء والرُّسل والكُتُب، وبين لنا ثم أعرض فتركه، لكن هذا لا يتوافق مع أنه ربُّ العالمين، المُرَبِّي جلَّ جلاله، لا، المُرَبِّي يعتني، المُرَبِّي يسوق أحياناً مُصيبة، شدة، شيء ما، حتى يرجع الناس إلى جادة الصواب، هذا الفضل قال: (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَعَدَّ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُتُّوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65)

(سورة البقرة)

أي علمتموهم وعلمتم أحوالهم بالأعيان، لأنه عندنا في اللغة عَرَفَ وعَلِمَ، إذا قلت لك: عَرَفْتُ زيداً يعني أنا أعرفه، أعرف ذاته، إذا قلت لك: عَلِمْتُ زيداً فأنا أعلم أحواله، العلم فوق المعرفة، فالمعرفة معرفة ذات والعلم علم حال، فأنا عَلِمْتُ زيداً، يعني زيد أتكلم عنه تماماً، عن أهله، عن وضعه، عن حالته الاجتماعية، عَلِمْتُهُ، قال تعالى: (وَلَعَدَّ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) واعلمتم حالهم، وأعيانهم، وذواتهم، وما حلَّ بهم.

(الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) اعتدوا أي تجاوزوا الحدود، وضع الله لهم حداً فاعتدوه، الاعتداء هو مُجاوزة الحد (فِي السَّبْتِ) يوم السبت، الأيام سبعة لم يُذكر منها في القرآن إلا يومان: السبت والجمعة، أمَّا الأيام الأخرى لم تُذكر، الأيام الخمسة الأخرى مأخوذة من الأعداد، الأحد واحد، الاثنين اثنان، الثلاثاء من الثلاثة، الأربعاء من رُقم أربعة، والخميس من خمسة، فمعدودة، إلا الجمعة والسبت، الجمعة عيدنا نحن أهل الإسلام، عيدنا نجتمع فيه، يجتمع فيه الإنسان مع أخيه المُسلم في المساجد، مع العائلة، فنحن عيدنا الجمعة.

فلذلك نحن نُهينا عن إفراذ الجمعة بصوم، ونُهينا عن صيام السبت، السبت لكي لا تتشبه باليهود، والجمعة لأنَّ هذا عيدٌ فلا نخضعه بصيام، إلا أن نصوم قبله أو بعده، يعني لا نقول: أنا أصوم لفضل الجمعة، لا، السبت أيضاً ذُكر في القرآن وهو ليس من الأيام التي فيها عدد، لأنَّ السبت هو انقطاع العمل، سَبَتَ أي انقطع عن عمله، فاليهود كانوا ينقطعون عن العمل في السبت فسُمِّيَ سَبْتاً، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ ۚ لَا تَأْتِيهِمْ
كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)

(سورة الأعراف)

أي يدخلون في السبت الذي هو الانقطاع عن الحركة، فهو لليهود عيدهم، والجمعة عيدنا أهل الإسلام.

امتحان الله عزَّ وجل لبنو إسرائيل يوم السبت:

الآن قال: **(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ)** ماذا فعلوا؟ تعرفون القصة، الذي حصل أنَّ الله عزَّ وجل امتحنهم في يوم السبت، يوم العطلة، يوم الراحة، الإجازة، قال: هذا اليوم ليس فيه عمل، وبالنتيجة ليس هناك صيد، وهم **(خَاصِرَةُ الْبَحْرِ)** يعني هم على الشاطئ، فيوم السبت ربُّنا يمتحنهم، يُرسل لهم الحيتان **(إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا)** مُشَرَّعةً كما ترى شراع السفينة، فيمتزوا من أمامهم واليوم السبت، ويوم السبت ليس هناك صيد، مثل المُحَرَّم ما عنده صيد بالإحرام، وهم يوم السبت ما عندهم صيد، والحيتان تمزُّ أمامهم، وهم محتالون كعادتهم يُريدون أن يصيدوا السبت، فعملوا حوصاً في الماء ويوم السبت دخلت الحيتان فسوّروهم ويوم الأحد أخرجوهم، بمعنى أنه نحن لم نصطاد السبت، حيلة شرعية، ألا يقول المسلمون اليوم: حيلة شرعية؟! يحتالون على الربا، ويحتالون على الغيبة، ويحتالون على التهمة، ويقول لك: يُعلمنا ربُّنا بيهود، بني إسرائيل.

كانوا سابقاً والآن هناك وعي أكثر، لا يُريد أن يدفع زكاة ماله، فيضعها داخل كيس الخبز ويذهب إلى مسجدٍ من المساجد، فيجد فقيراً ويُعطيه إياها، فيكون قد سلَّمه زكاة المال، ثم يُرسل له شخصٌ بعد دقيقتين يقول له: أتبعني كيس الخبز؟ خذ ألف ليرة وبعها، وهي بداخلها يوجد عشرون ألفاً، يُعطيه ألفاً ويسترجعها، واعتبر نفسه أنه دفع زكاة المال، وكأن الله عزَّ وجل حاشاه جلَّ جلاله لا يعلم ما جرى.

الاحتيال على ما أنزل الله تعالى فيه اجترأ على مقام الألوهية:

واليوم بعض البنوك الإسلامية تعمل حيل ربوية، يحتالون على الربا نفسه بطريقة ثانية، البعض ببعض المعاملات، وبعض بالمسلمين اليوم يحتال على الربا نفسه، يقول لك: أنا أخذت البيت رهنية، برهنه وبؤجره وينتفع به، والرهن لا يُنتفع به، فيكون قد أقرضه المال ورهن البيت وصار يؤجر البيت ويأخذ أجرة البيت، بدلاً من أن يُعطيه المال، أي يُعطيه مئة ويأخذ مئة وعشرين، هذا ربا صريح واضح، يُعطيه المئة ويقول له: أعطني بيتك رهناً، وخلال فترة الرهن استمخ لي أن أؤجره، فيؤجر البيت بالشهر بمئة، فهو عملياً دفع ألف وأخذها ألف ومئتان نفس الربا، لكن أخذهم من أجرة البيت وليس منه مباشرة.

أنا أقول: هذه الحيلة فيها اجترأ على مقام الألوهية، لأنه هو بداخله كأن ربُّنا عزَّ وجل حرَّم شيئاً وأنا جعلت طريقةً للالتفاف عليه، كيف يصحُّ ذلك؟! فهؤلاء فعلوا ذلك، والله عزَّ وجل ابتلاهم فقال: **(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ)** أي تجاوزوا الحدَّ **(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)** البعض يسأل إذا صاروا قردةً فمن أين جاءنا هؤلاء من نسلهم حتى اليوم؟ لا ليس كلهم، ربُّنا قبل قليل قال لك: **(وَالَّذِينَ هَادُوا)**، **(مَنْ آمَنَ يَأْتِ اللَّهُ بِهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَيَرْضَاهُمْ لِمَا كَانُوا عَمِلُوا)** لكن جزء منهم الذين اعتدوا في السبت.

(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) الفرد حيوانٌ ظاهر العورة، وهُم بطنه وطعامه، والخنزير حيوانٌ هُم قِرجه، فصارت همومهم الطعام والشراب والجنس، وهذا للأسف ما نجده اليوم، هم البعير المُنحرف عن الله بطنه وقِرجه، طبعاً جعلهم مستَحَم قِرده وخنازير حقيقةً، لكن مستَحَم خلفاً وأخلاقاً **(كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)**.

معنى (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا):

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66)

(سورة البقرة)

أي العقوبة **(نَكَالًا)** والنكال هو الزجر والعذاب، والأنكال هي القيود التي يُقيَّد بها الإنسان، **(فَجَعَلْنَاهَا)** تلك العقوبة، أو تلك الأمة التي ضُيع بها ذلك **(نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا)** أي الأمم التي شاهدت ما حلَّ بها، هناك أقوامٌ شهدوا ذلك، شهدوا تلك العقوبة **(وَمَا خَلَقَهَا)** لنا نحن **(فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا)** لمن يأتي بعدها فيحدثوا عنها، وفي الوقت نفسه هي عذابٌ لقوم وهي موعظةٌ للمُتَّقِينَ، **(فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)** يتعظوا بها ويخافوا بها من يخاف الله تعالى، الموعظة هو الزجر، فالإنسان يتعظ، المُتَّقِي يتعظ بهذا الأمر، فيخشى عذاب الله تعالى ويُقِل على طاعته.

هذا والله تعالى أجَلُّ وأعلم، والحمد لله ربَّ العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدعاء:

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عَنَّا، وإلى غيرك لا تكلنا، ومن شرور أنفسنا نجِّنا وسلِّمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُّنة توقُّنا، نلقاك وأنت راضي عَنَّا، والحمد لله ربَّ العالمين.